مساهمات النساء في الشعر العربي
(من الجاهلية إلى ما قبل النهضة الحديثة)

عندليب رياض[i]
د. سلمى شاهدة[ii]

Abstract

Arabic literature is one of the oldest literatures in the world. This literature has been there for over fifteen countries. Arab women have a long history of literary endeavor. A large number of Arab women contributed to the field of literature especially in poetry. But Arab-Muslim culture is vastly different from Western culture regarding the treatment of women. In spite of valuable contribution offered by women, the primary sources of Arabic literature are about silently regarding their contribution to this literature. Therefore the role models in Arabic literature were men.

The names of the known Arab women poets could be counted on the fingers of one hand, like Kharnaq Bint Badar (d. 574), Al-Khansa (575-664), Layla Akhilliya (d. 705), Aysha al-Bauniya (d. 922), Wallada Bint al-Mustakfa (d. 1091) and their subjects were always bemoaning a dead relative or praising a male counterpart. Evidence suggests that most of the poetry written Arab women were either not recorded or was lost after recording it. The women writers who appear in the books of literature represent only a fraction of them. There were two reasons for this: the first one was that when Arabs started to write about their poetry they concentrated their efforts on what had been written by men because of its superior literary value and did not pay much attention to women's poetry because it was "feminine and weak". But even the little of women's poetry that was recorded was lost during foreign invasions and the burning of library.

This work tries to provide an introduction to women poets of Arabic and to make visible a great number of women poets of Arabic literature who are virtually unknown to the reader of Arabic literature, as well as to provide a short discussion on famous women poets of Arabic literature during the Jahiliyya as well as the Islamic and Pre Modern periods.

[i] باحثة الدكتوراه في قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة الوطنية للغات الحديثة إسلام آباد

[ii] الأستاذة المساعدة في قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة الوطنية للغات الحديثة إسلام آباد

الشعر في الحقيقة من الفنون الجميلة التي يسميها العرب الآداب الرفيعة. و هي التي تعبر عن جمال الطبيعة بالألفاظ و المعاني. و لكن علماء العروض من العرب يريدون بالشعر الكلام الموزون المقفى. و قد قال ابن خلدون "الشعر هو الكلام المبني على الاستعارة و الأوصاف، المفصل بأجزاء متفقة في الوزن و الرؤى مستقل كل جزء منها في غرضه و مقصده عما قبله و بعده، الجارى على أساليب العرب المخصوصة به".[1] و الشعر أقدم الآثار الأدبية عهدا لعلاقته بالشعور و صلته بالطبع، و عدم احتياجه إلى رقي في العقل، أو تعمق في العلم، أو تقدم في المدنية. فكان الشعر ديوان علومهم و حكمهم، و سجل وقائعهم و سيرهم، و شاهد صوابهم و خطئهم، و مادة حوارهم و سمرهم.[2]

قد حفل الشعر العربي منذ بزوغه، بعلامات تاريخية جمّة عن حياة العرب وحروبهم وعلاقاتهم القبلية والفردية مع جوانب مثيرة عن حياة اجتماعية بسيطة حقّها السعي وراء الشهامة والبطولة والفروسية والتميّز في قرض الأشعار. وكان للطبيعة والحيوان مساحات كبيرة في الشعر الجاهلي. فلقد وصف هؤلاء الأفذاذ المطر والسحاب والبرق والأودية والمياه الجارية والجبال الراسيات. كما أبدعوا أيّما إبداع في وصف حيواناتهم البرية والأليفة. و شهدت الحياة العربية نقلة كبرى في تلك الحقب من الزمن. فالانتقال من الحياة البدوية و الصحراوية إلى المناطق الخضراء غربي شبه الجزيرة العربية، وانتشار الدعة والرفاهة كان لهما أبلغ الأثر في ذلك التحول. وكان من الطبيعي أن ينعكس ذلك على أحد الجوانب الأساسية في الحياة العربية، ألا وهو الشعر. ولكن القيم المتدنية للشعر العربي في هذه العصور أسباب. أولا: أن معظم الشعر الجاهلي لم يتم حفظه وتدوينه. ثانيا: اقتصر اهتمام الأدباء و المؤرخين السابقين على شعر فحول الشعراء. كذلك تعدي هذا الإهمال على شعر المرأة، الذي لم يعن به تاريخ الأدب ولم تدون شعرهن مذكرات المدّونين لا من الناحية الكمية و لا من ناحية المضمون ! وسوف أتطرق في هذه الدراسة الإحصائية إلى محاولة تقدير النسبة المئوية التي فقدت من الشعر الجاهلي، على ضوء ما توفر من بيانات إحصائية من شعر الإناث. و سوف يلاحظ من هذه البيانات، أن عدد الشاعرات في العصور[3] من الجاهلية إلى ما قبل النهضة فى الأدب العربي كثير. فسوف نقترح نبذة عن واحدة منهن في كل عصر من تلك العصور. فنذكر منهن مثلا خرنق بنت بدر من العصر الجاهلي و الخنساء من العهد الاسلامي و ليلى الأخيلية من العصر الأموي و علية بنت المهدي من العهد العباسي و ولادة بنت المستكفى من الشاعرات الأندلسيات، و عائشة الباعونية من شاعرات عهد الانحطاط.

مساهمات النساء في الشعر العربي

إن المرأة ركن أساسي من أركان المجتمع في مجاله العام والخاص في حاله ومستقبله. فالمرأة هي أداة رئيسية لإعادة الإنتاج القيم والمبادئ الأساسية للمجتمع؛ سواء من خلال دورها كأم أو من خلال أدوارها العامة كدورها البارز في العملية التعليمية. مثلا عند ظهور الإسلام كان للمرأة وجود هام في المجتمع؛ فالسيدة خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها) هي أول من آمن بنبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) على الإطلاق، وكانت ملاذًا وحصنًا منيعًا

للدعوة الإسلامية الي يوم وفاتها في العام العاشر من البعثة، وهو العام الذي سماه النبي (صلى الله عليه وسلم) بعام الحزن لحزنه الشديد على فراق زوجته الحبيبة خديجة (رضي الله عنها). كذلك كانت المرأة أول من ضحّت بنفسها في سبيل الله؛ فالسيدة سمية بنت خياط (رضي الله عنها) هي أول شهيدة في الإسلام. كما كانت المرأة أول من هاجرت في سبيل الله؛ فالسيدة رقية بنت محمد (صلى الله عليه وسلم)، هي أول من هاجرت إلى الله تعالى مع زوجها عثمان بن عفان (رضي الله عنه) بعد نبي الله "لوط" (عليه السلام). و كانت أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) مشهورة في مجال رواية الحديث النبوي الشريف فهي من الرواة المكثرين، و هي في المرتبة الثالثة من حيث الإكثار في الرواية؛ إذ أنها روت حوالي (2210) حديثًا. وقد أخذ عنها العلم حوالي (299) من الصحابة والتابعين، منهم (67) امرأة.[4]

و في نفس السياق ساهمت المرأة العاملة بأناملها الرقيقة في صناعة وتشكيل كثير من كبار العلماء؛ فمن الفقيهة المحدثة "طاهرة بنت أحمد بن يوسف التنوخية" المتوفاة (436هـ). وكانت "أمة الواحد بنت الحسين بن إسماعيل" المتوفاة (377هـ) من أفقه الناس في المذهب الشافعي. وكانت "زينب بنت مكي بن علي بن كامل الحراني" المتوفاة سنة (688هـ) من النساء اللاتي قضين عمرهن كله في طلب الحديث والرواية، وازدحم الطلاب على باب بيتها في سفح جبل قاسيون بدمشق، فسمعوا منها الحديث، وقرؤوا عليها كثيرًا من الكتب.[5]

ولم تقتصر مآثر المرأة المسلمة على الإيمان والهجرة والتضحية فقط، بل امتدت مآثرتهن إلى المجال العلمي والتعليمي، و كانت للمرأة مآثر بارزة في العلوم و التعليم و الأدب العربي. فصنفن الكتب في مواضيع مختلفة و كانت منهن فقيهات و في الأمور الخاصة و العامة، وأخذ عنهن كثير من العلماء و الفقهاء الشيء الكثير من العلوم و الفنون عن العالمات المسلمات اللواتي اشتهرن بالمجالس و المكتبات في المساجد المختلفة، فكان الطلاب يشدون إليهن الرحال حيث وجدن من الأقطار المختلفة البعيدة، وعُلم عن بعض الفقيهات والمحدثات المسلمات أنهن أكثرن من الرحلة في طلب العلم إلى عدد من المراكز العلمية في مصر والشام والحجاز حتى صرن راسخات القدم في العلم والرواية. ولم تكن المرأة حبيسة منزل أو حجرة، أو أسيرة في مهنة معينة، بل كان المجال مفتوحًا أمامها ومن ذلك ترحالها من أجل طلب العلم.

ودور المرأة في العملية الإبداعية في الأدب العربي سواء كان ذلك في الشعر أو في النثر مذكور في التاريخ، حيث نقلت لنا بعض أخبار المجالس التي كان يرتادها الرجال والنساء، والتي كانت فيها المرأة تبرز ملكتها الشعرية وتنميها بالمساجلات. وتعترف صاحبة الدراسة بأن الآثار الأدبية المتعلقة بالمرأة التي وصلت إلينا، قليلة ومتناثرة في صفحات الكتب، والأصول التي ألفت عن المرأة نفسها لا تزال مجهولة.

وكانت لأكثرهن في العصر الجاهلي قصيدة واحدة أو أقل من ثلاث قصائد إذا ما قورنت بمتوسطات الرجال الشعراء. و يظهر ذلك من الجدول التالي:[6]

عدد القصائد	عدد الشعراء		النسبة المئوية	
	أناث	ذكور	أناث	ذكور
1	85	254	%65	%60
2	22	65	%17	%15
3	15	25	%12	%6
4	3	11	%2	%3
5	1	10	%1	%2
أكثر من 5	3	59	%3	%14
المجموع	130	442	%100	%100

في هذا الجدول 85 شاعرة كتبن قصيدة واحدة فقط و22 قصيدتين ...ألخ. أو يمكن القول بان 94 %من الشاعرات وردت منهن ثلاث قصائد أو أقل. كذلك في الرجال 81% من الشعراء وردت لهم ثلاث قصائد أو أقل.

ومن أكبر الأدلة على رقى العرب في جاهليتهم ارتقاء نسائهم. فقد كان للمرأة عندهم رأى و إرادة، و كانت المرأة صاحبة أنفة و رفعة و حزم. ولم يكن الأدب العربي من العصر الجاهلي إلى يومنا هذا موقوفا على الرجال دون النساء. كان لهن شأن في الشعر و الأدب و سائر العلوم. فهناك نساء كثيرات ممن تفوقن على البعض من شعراء ذاك العصر. أما بالنسبة إلى الشاعرات، فجاءت صفية بنت ثعلبة الشيبانية الحجيجة ب 18 قصيدة و52 بيتا والثانية الخرنق بنت بدر (ت 52 ق.هـ/570م)-أخت طرفة بن العبد لأمه ب 15 قصيدة و65 بيتا، ثم أم الضحاك المحاربية ب10 قصائد و25 بيتا. وجميعهن من الأسماء المغمورة في العصر الجاهلي ! [7]

أما افضل النساء في هذا العصر والتي اشتهرت فيما بعد، هي آمنة بنت وهب-أم الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم. وقد وردت لها قصيدة بست أبيات في إبنها الرسول محمد(صلي الله عليه وسلم)، تقول في مستهلها:[8]

بارك الله فيك من غلام يا ابن الذي في حومة الحمام

وكذلك بنات عبد المطلب بن هاشم الست، عمّات الرسول: صفية 4 قصائد، عاتكة وأروى وأم حكيم بقصيدتين لكل واحدة منهن. أما أميمة وبرة فقصيدة واحدة لكل منهما .

ومنهن تماضر بنت عمرو بن الحارس بن الشريد الرياحية (شاعرة الرثاء الأولي)، الملقبة بالخنساء, والتي أدركت الإسلام وأسلمت ولم يستطع شاعر جاهلي مجاراتها في مضمار الرثاء. لها 98 قصيدة و918 بيتا من الشعر الراقي الأصيل. واشتهرت في هذا العصر ليلى بنت لكيز بن مرة (تـ483م) التي عرفت باسم ليلى العفيفة.

وغير ذلك من أسماء كثيرة من النساء اللاتي لهن مساهمة هامة في الأدب العربي في هذ العصر؛ منهن أمينة بنت عيينة، و أميمة العشمية، و أميمة بنت عميلة، و كبشة-أخت عمرو بن معدى كرب و برة بنت عبد المطلب-عمة النبي (صلى الله عليه وسلم)، و البسوس، و جليلة بنت مرة بن ذهل (ت 80 ق. هـ/540م)-من بني شيبان و امرأة كليب الفارس المشهور، و ميسة بنت جابر-امرأة حارث بن بدر، و جندوب-زوجة امرئ القيس، و جنوب الهذلية، و حذام بنت الريان، و الحمراء بنت ضمرة، و خالدة بنت هاشم بن عبد مناف، و دختنوس بنت لقيط، و سبيعة بنت الأحب، و سبيعة بنت عبد شمس، و سعدي بنت الشمردل الجهنية، و سعدي بنت كرير، و سلمى بنت كعب، و سلمى بنت ربيعة، و الشموس، و صفيعة بنت ثعلبة الحجيجة، و أم الضحاك، و فاطمة بنت ربيعة بن بدر الفزارية، و فاطمة بنت مرة-معاصرة لعبد الله بن عبد المطلب و قيل عرضت عليه نفسها للزواج قبل أن يتزوج بآمنة، و ليلى بنت لكيز بن مرة وعرفت باسم ليلى العفيفة (ت483م)-من ربيعة من اقدم الشعراء، و منفوسة بنت زيد الفوارس، و مية بنت ضرار، و هزيلة بنت مازن، و هند بنت معبد، و هند بنت النعمان، و الورثة بنت ثعلبة و غيرهن.[9]

و من المخضرمين كان هناك شاعرات كثيرات ممن كان لهن دور هام في الشعر العربي، ومن أشهرهن الخنساء التي ذكرت اسمها في السابق، و أميمة بنت عبد شمس-أخت أبي سفيان، و حرقة بنت النعمان، و الخنساء بنت أبي سلمي-أخت زهير بن أبي سلمى وهو واحد من أصحاب المعلقات، وعمات النبي صلى الله عليه وسلم-درة بنت أبي لهب (20هـ/640م) و رقية بنت عبد المطلب و صفية بنت عبد المطلب (20هـ/641م)- و صفية بنت مسافر، و عمرة بنت مرداس (48هـ/668م) بنت الشاعرة الشهيرة الخنساء، و فاطمة الخزاعة، و قتيلة بنت الحرث بن النصر (20هـ/640م)، كبشة (20هـ/640م) أخت عمرو بن معد يكرب، و ليلي بنت النضر-أنشد النبي صلى الله عليه وسلم شعرها في مقتل أبيها و قال: لو كنت سمعت شعرها ما قتلته، هند بنت أثاثة (10هـ/631م)، و هند بنت عتبة (14هـ/635م) ب14 قصيدة، وهي أم معاوية بن أبي سفيان، و هند بنت النعمان بن المنذر ب10 قصائد، و أسماء بنت أبي بكر الصديق(ذات النطاقين) بثلاث قصائد.

أما في صدر الإسلام فظهرت أديبات راقيات؛ و كان لهن مآثر مميزة. و كانت أمهات المؤمنين وعدد من كبار الصحابيات من رواد الحركة العلمية النسائية. وكانت حجراتهن منارات للإشعاع العلمي والثقافي والأدبي، فكانت أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر (رضي الله تعالي عنه) من الفصيحات البليغات العالمات بالأنساب والأشعار، و هي تحفظ جميع شعر لبيد، وكان النبي (صلى الله عليه وسلم) يستمع منها إلى بعض ما ترويه من الشعر. جاءت فاطمة الزهراء بنت رسول الله[10](صلي الله عليه وسلم) في المقدمة ب16 قصيدة و66 بيتا، تليها عاتكة بنت زيد ب 7 قصائد و27 بيتا. ومن شهيرات النساء، المرأة الجليلة حفصة بنت عمر بن الخطاب والرباب بنت امرئ القيس (زوجة الحسين بن علي رضي الله عنه)، وكل واحدة منهن كتبت قصيدة واحدة فقط. وكذلك بعض من الشاعرات لهن قصائد في العربي؛ منهن أسماء بنت أبي بكر، و بنت أبي مسافع-قتله النبي صلى الله عليه وسلم في أحد المواقف لشدة عداوته، و جويرية، و عاتكة بنت زيد (40هـ/660م)، و عمرة بنت دريد، و

نائلة بنت القراصفة الكلبية و زوجة عثمان بن عفان (رضي الله تعالي عنه)، و نعم-امرأة شماس بن عثمان، و وجيهة بنت أوس.

أما في العصر الأموي فقد لمعت شاعرات عديدات يذكر منهن ليلي الأخيلية (ت85هـ/705م)، و سكينة بنت الحسين بن علي(47-117هـ)، التي عرفت بمواقفها الأدبية وجرأتها النادرة. ووصف المستشرق الفرنسي (بيرون) الشاعرة سكينة بأنها "سيدة عصرها وأجملهن وأظرفهن وأسماهن صفات وأخلاقاً"، و كان يجتمع الشعراء إليها فتحادثهم و تنتقدهم. واشتهرت كذلك عائشة بنت طلحة في الشعر والنقد-كانت لها مجالس أدب و شعر، و عمرة-امرأة أبى دهبل الشاعر، ورابعة العدوية التي امتازت بتصوفها وزهدها وكان محور شعرها الحب الصوفي الإلهي، و جزلة التي كانت يجتمع اليها الرجال للمحادثة و انشاد الشعر قبل أن يتزوج، و من هناك عرفها و تزوجها.[11] و غير ذالك من الشاعرات اللواتي اشتهرن في هذا العصر منهن: أخت الجهضمية، و أخت عمرو بن سعيد، و زينب بنت الطثرية المعروفة بأخت يزيد بن الطثرية، و بنت بهدل، و بنت حجر بن عدي الكندية، و بنت عقيل بن أبي طالب، و بنت القتال الكلابي، و الدهناء بنت مسحل، و عائشة بنت عثمان ابن عفان، عاتكة بنت عبد الرحمن-زوجة عبد الله بن عمر، و الفريعة بنت همام، و كنزة (100هـ/718م)، و ميسون بنت بحدل.

أما في العصر العباسي فاشتهرت عليّة بنت الخليفة المهدي، وهي اخت الخليفة هارون الرشيد، وامتازت عن رفيقاتها بذكائها المتقد وصوتها الحسن ومعرفتها بالموسيقى. و من الشاعرات لهذا العصر تقية الصورية (505-579هـ/1111-1183م)، و الذلفاء بنت الأبيض، و ريحانة، و زبيدة بنت جعفر (216هـ/831م) زوجة هارون الرشيد، و سعدى بنت الشمردل، العباسة بنت الرشيد-زوجة جعفر البرمكي، و لبابة بنت ريطة-زوجة الأمين، و رابعة العدوية (تـ بين 796-801م)، و فضل الشاعرة أو فضل العبدية (تـ 874/260م)، و الفارعة بنت طريف الشيبانية و والهة المخزومية و عنان الناطفية.[12]

ومن الشاعرات الاندلسية اشتهرت الشاعرة ولادة بنت المستكفي (ت491هـ/1091م) التي كانت تناقش الشعراء والادباء في مجالسهم بصراحة وجرأة، وعائشة بنت أحمد بن محمد بن قادم التي عرفت عهد ذاك بعائشة القرطبية (ت400هـ/1009-1010م)، ومريم بنت أبي يعقوب الفصولي الشلبية الأنصارية (400هـ/1010م)، ونزهون بنت القلاعى الغرناطية (تـ 1165/560م)، وأم العلاء بنت يوسف الملقبة بالحجّارية البربرية، وأم مكرم بنت المعتصم، و أم العزيز، و بثينة بنت المعتمد-الشاعر و سلطان إشبيلية، و حسّانة بنت أبي المخش التميميّة (تـ 844/230-845م)، و حفصة بنت الحاج الركونية (ت586هـ)، و حمدة بنت زياد المؤدب الملقبة بخنساء المغرب في غرناطة، و حفصة بنت حمدون الحجارية (تـ العاشر الميلادي)، و زينب المرية، و قمسونة بنت إسماعيل اليهودي، و الغسّانية جانية، و مريم بنت أبي يعقوب الأنصاري، و مهرية بنت الحسن بن غلبون التميمي (ت295هـ/908م) و مهجة بنت التياني القرطبية (ت485هـ/1091م)-صاحبة ولادة بنت المستكفي، وكلهن نساء برعن في نظم الشعر.[13]

و في عهد الإنحطاط وجد بعض الشاعرات في الأدب العربي، و هن: عائشة بنت يوسف الباعونية (ت922هـ)، و زينب بنت محمد (ت 980هـ)، و سارة بنت أحمد بن عثمان الحلبية (ت700هـ/1300م).[14]

العصر الجاهلي

الخِرنِق بنتِ بَدر (ت 50 ق .هـ /574م)

هي الخرنق بنت بدر بن هفان بن مالك من بني ضبيعة البكرية العدنانية. شاعرة شهيرة في الجاهلية، وهي أخت طرفة بن العبد لأمه وردة بنت عبد العزى أخت المتلمس الشاعر. وفي المؤرخين من يسميها الخرنق بنت هفان بن مالك بإسقاط بدر، تزوجها عبد عمرو بن بشر بن عمرو بن مَرْثَد سيد بني أسد ، و لكنها لم تكن سعيدة في صحبته فشكت ذلك إلي أخيها فهجاه. و عاشت الخرنق بعد أخيها و زوجها، و هي توفيت نحو سنة 570م[15]، أو نحو سنة 580م بعد عمرو بن هند. و كان زوجها قد قتل في غارة له علي بني أسد يوم قلاب (من أيام الجاهلية).[16]

شاعريتها

هي كانت شاعرة مطبوعة، و كانت لها اشعار كثيرة في أخيها و زوجها لم يصلنا منها إلا بضعة و خمسون بيتا. و شعرها يجمع في ديوان باسم "ديوان الخرنق أخت طرفة".[17] فكان أكثر شعرها في رثاء زوجها عبد عمرو ورثاء من قتل معه من قومها ورثاء أخيها طرفة. وقد قالت في رثاء زوجها و من قتل معه في يوم قلاب:[18]

ألا آليت آسى بعد بشر علي حي يموت و لا صديق

و بعد الخير علقمة بن بشر إذا نزت النفوس إلى الحلوق.

و لما قتل أخوها طرفة رثته بقولها:[19]

عددنا له ستا و عشرين حجة فلما توفاها استوى سيدا ضخما

فجعنا به لما رجونا إيابه على خير حال، لا وليدا و لا قحما

العصر الاسلامي

الخنساء بنت عمرو رضـ (575-664م)

شاعرة بني سُليم و شاعرة الرثاء

هي تماضر بنت عمرو بن الحرث بن الشريد من قبيلة سليم، ولدت سنة 575 للميلاد. تكنى بأم عمرو ولقبت بالخنساء ومعناها الظبية و قيل لقبت بالخنساء لقصر أنفها وارتفاع أرنبتيها، و قيل كلمة الخنساء معناها بقرة الوحش، فلقبت بالخنساء لجمالها.[20]

و هي عرفت بحرية الرأي وقوة الشخصية، نشأت في بيت عز وجاه مع والدها وأخويها معاوية وصخر. وأيضا أثبتت قوة شخصيتها برفض الزواج من دريد بن الصمة أحد فرسان بني جشم؛ فتزوجت مرتين. اقترنت للمرة الأولى بعبد العزّى و ولدت له ابنا سمي عمرا و عرف بأبي شجرة، و قيل اقترنت للمرة الأولى بابن عمها رواحة بن عبد العزّي السلمي، الذي أنجبت منه ولدا-عبد الله، ثم تزوجت للمرة الثانية بابن عمها مرداس بن أبي

عامر السلمي، وأنجبت منه أربعة أولاد، وهم زيد/يزيد ومعاوية وعمر وعمرة الذين اشتهروا بالفروسية و قول الشعر. وقد طغت شهرتها على النساء قديماً وحديثاً. وكانت وفاة الخنساء في أول خلافة عثمان بن عفان (رض) ثالث الخلفاء الراشدين سنة 24 هجرية/664 ميلادية.[21] و قيل إن وفاتها بالبادية في سنة 24هـ (644-645م) في أول خلافة عثمان بن عفان أو في سنة 42 هـ/663م في أيام معاوية.[22] و قيل أنها توفت سنة 25هـ/646م.[23] و قيل أنها توفيت نحو سنة 664م/44هـ و لها من العمر نحو 89 سنة.[24]

تعد الخنساء من المخضرمين ؛ لأنها عاشت حوالي 70 سنة في عصرين-في الجاهلية والإسلام (575 - 646م). و لما جاء الاسلام وفدت مع قومها بني سليم على الرسول و مثلت بين يديه هي و قومها وأعلنت إسلامها، وكان النبي الكريم صلى الله عليه وسلم يستمع إلى شعرها.[25] وقيل أن رسول الله(ص) كان يعجبه شعرها، فكانت وهي تنشده يقول لها " هيا يا خنساء!" أو " هيه يا خناس " أي أحسنت وأبدعت بفصاحتك.[26]

قتل معاوية على يد هاشم ودريد ابن حرملة يوم حوزة الأول سنة 612 م، فحرضت الخنساء أخاها صخر على الأخذ بثأر أخيه، قام صخر بقتل دريد قاتل أخيه. ولكن صخر أصيب بطعنة دام إثرها حولا كاملا، وكان ذلك في يوم كلاب سنة 615 م. فبكت الخنساء على أخيها صخر قبل الإسلام وبعده حتى عميت.[27]

وفي الإسلام خرجت الخنساء في كثير من الغزوات مع العرب المسلمين وصحبة الجيوش الظافرة في مسيرها لإعزاز دين الله الحق و حرضت الخنساء أبناءها الأربعة في حرب القادسية(16ه /638م) على الثبات ومقاتلة الفرس حتى استشهدوا جميعا فسميت " بأم الشهداء" لأنها حرضت أولادها الأربعة على الخروج للجهاد لإعزاز دين الله الحق. و كانت وصية الخنساء لأبنائها قبل المعركة: "يا بني إنكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين ، والله الذي لا إله إلا هو إنكم لبنو رجل واحد، كما إنكم بنو امرأة واحدة ما خنت أباكم ، ولا فضحت خالكم ، ولا هجنت حسبكم ولا غيرت نسبكم ، وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين، واعلموا أن الدار الباقية/ الآخرة خير من الدار الفانية"، يقول الله عز وجل: (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون).[28]

وعندما بلغ الخنساء خبر وفاة أبنائها لم تجزع ولم تبك، ولكنها صبرت، فقالت كلماتها المأثورة التي كتبها التاريخ الإسلامي بحروف من نور، وعاشت على جبين الزمان على مدار الأيام والأعوام: (“الحمد لله الذي شرفني باستشهادهم جميعا في سبيل الله ونصرة دينه وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر الرحمة").[29]

شاعريتها

اشتهرت الخنساء على صيتها كشاعرة من فحول الشعراء ، يعتبرها كثير من الأدباء المؤرخين بأنها من أشهر شواعر العرب وأشعر النساء كافة. و لايوجد في شواعر العرب قبل الاسلام و بعده من تفوقها في رصانة شعرها ورقة لفظها و حلاوة جرسها. و كان معظم

شعرها مقطوعات، تمتاز بالفصاحة و الأصالة، وكانت ألفاظها رقيقة متينة السبك، رائعة الديباجة.

الخنساء كانت من نساء العرب الخالدات في التاريخ وديوان، شعرها من أجمل دواوين الشعر، وروي أن عدي بن حاتم الطائي قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وحادثه فقال يا رسول الله إن فينا أشعر الناس وأسخى الناس و أفرس الناس! قال النبي صلى الله عليه وسلم: سمهم. قال: أما أشعر الناس فامرؤا القيس بن حجر، وأما أسخى الناس فحاتم بن سعد (يعني آباه)، وأما أفرس الناس فعمرو بن معد يكرب. فقال: ليس كما قلت يا عدي ،أما أشعر الناس الخنساء بنت عمرو، وأما أسخى الناس فمحمد (يعني نفسه)، وأما أفرس الناس فعلي ابن أبي طالب.[30]

يغلب عند علماء الشعر على أنه لم تكن امرأة قبلها ولا بعدها أشعر منها. كان بشار يقول: إنه لم تكن امرأة تقول الشعر إلا يظهر فيه ضعف، فقيل له: وهل الخنساء كذلك، فقال تلك التي غلبت الرجال.[31]
وقال المبرد: إن أعظم النساء في الشعر هما ليلى الأخيلية والخنساء السلمية.[32]

و كان النابغة الذبياني يجلس تحت قبة حمراء من أدم في سوق عكاظ، و يأتيه الشعراء و يعرضون عليه أشعارهم، فيحكم بينهم ويحدد مراتبهم، وفي إحدى السنوات أنشدت الخنساء قصيدتها الرائعة في رثاء أخيها صخر التي تقول في مطلعها[33]:

قذى بعينيك أم بالعين عوار ذرفت إذ خلت من أهلها الدار
كأن عيني لذكراه إذا خطرت فيض يسيل على الخدين مدرار

أعجبته القصيدة وقال لها: لولا أن هذا الاعمى انشدنى قبلك (يعنى الأعشى) لقلت أنك أشعر من بالسوق أو لفضلتك على شعراء هذا الموسم[34]. و في رواية قال النابغة الذبياني: و الله لولا أن أبا بصير (الأعشى) أنشدني آنفا لقلت إنك (الخنساء) أشعر الجن والإنس. فغضب حسان بن ثابت وقال: أنا أشعر منك و من أبيك و من جدك! فقبض النابغة على يده، ثم قال: يا بن أخي، إنك لاتحسن أن تقول مثل قولى:[35]

فإنك كالليل الذى هو مدركى و إن خلت أن المنتأى عنك واسع

ثم قال للخنساء: أنشديه، فأنشدته، فقال: و الله ما رأيت ذات مثانة أشعر منك! فقالت له الخنساء: و الله ولا ذا خصيين!![36]
وسئل جرير عن أشعر الناس فأجابهم: والله لأني أشعر الشعراء لولا هذه الخبيثة! يقصد الخنساء.[37]
وتبدو الخنساء في بعض قصائدها كأنها تأثرت بلغة القرآن الكريم، وقيمه الإنسانية النبيلة[38]:

ألا ما لعينك أم مالها لقد أخضل الدمع سربالها

.....

فإن تصبر النفس تلق السرور وان تجزع النفس أشقى لها.

و قال ابن الأثير عنها:[39]

All masters of Literature are unanimous in declaring Khansa as the best women poet in Arabic. No women in history have ever written such fine poetry as Khansa.

1) العصر الأموى

2) ليلى الأخيلية الشاعرة الرحالة

شاعرة الحب العذري/الخالد(ت 80هـ/705 م)

هي ليلى بنت عبدالله بن الرحال بن شداد بن كعب بن معاوية الأخيلية من بني عامر بن صعصعة.[40] وكانت تسمى ب"الرحالة"، و ذلك لأن آخر أجدادها كان يعرف "بالأخيل" والأخيليون ينتسبون إلى قبيلة بني عامر، وعرفت قبيلتهم بأنهم كانوا من عشاق العرب، كما كانت من أولى القبائل التي دخلت الإسلام، وجاهدتً في سبيل نشر لواء الدين الجديد. و قيل اسم جدها كعب بن حذيفة بن شداد ، وسميت (الأخيلية) لقولها أو قول جدها ، من أبيات:[41]

نحن الأخايل ما يزال غلامنا حتى يدب على العصا مشهورا

وقال العيني : أبوها الأخيل بن ذي الرحالة بن شداد بن عبادة بن عقيل، فيسميها بذلك.

و هي من أهم شاعرات العرب المتقدمات في الشعر من شعراء الإسلام ولا يتقدمها أحد من النساء سوى الخنساء. و هي شاعرة عربية ذكية فصيحة بليغة حسنة الإنشاد، اشتهرت بأخبارها مع توبة (ت674م) بن الحمير. فهي كانت أول شاعرة تقف أمام الخلفاء- معاوية وعبد الملك بن مروان و الحجاج بن يوسف.

وقد نشأت ليلى منذ صغرها مع ابن عمها توبة بن الحمير الذي كان هو الآخر شاعرا رقيق الحس، فعشقا بعضهما بعضا. كان معظم شعرها حول حبها الوحيد لابن عمها -الشاعر توبة بن الحمير الذي خطبها من أبيها، و لكن والدها عارض زواجهما لذيوع قصة حبهما بين القبائل و لأن الزواج في مثل هذه الحالة يعد بمثابة إقرار بوجود علاقة بين الاثنين. ولكل ذلك قام والدها بتزويجها من أبي الأذلع لإخراس الألسن.[42] ولكن زواج ليلى لم يمنع توبة من زيارتها وكثرت زياراته لها. و كان توبة إذا أتى ليلى خرجت له ببرقع. فلما اشتهر أمرهما اشتكوه الى الأمير، فأهدر السلطان دم توبة إذا عاود زيارتها.[43] فأخذوا يترصدون قدومه وهم ينوون قتله. وذات يوم علمت ليلى بمجيء توبة لزيارتها المعتادة، فخرجت للقائه سافرة وجلست في طريقه، فاستغرب خروجها بدون البرقع، ولكنه فطن إلى أنها أرادت تحذيره مما كان يبيّت له، فامتطى جواده وابتعد، وكانت ليلى السبب في نجاته. وفي هذا يقول توبة:[44]

وكنت إذا ما جئت ليلى تبرقعت فقد رابني منها الغداة سفورها
عليّ دماء البُدن إن كان زوجها يرى لي ذنبا غير أني أزورها
وإني إذا ما زرتها قلت يا اسلمي فهل كان في قولي اسلمي ما يضيرها

ولكنه قتل بعد رجوعه من عند ليلى لأنه أخذ إبلاً لبنى عوف ولكن بنى عوف أدركوه وقتلوا توبة. ولما علمت ليلى بمقتل الذي ملك عليها قلبها وعقلها حزنت حزناً شديداً وخيمت الأحزان على نفسها، وبكته بكاءً مريراً وأغلقت عليها بابها حزناً على توبة وقد أطالت الرثاء عليه فقالت:[45]

فإن تكن القتلي بواء فإنّكم فتى ما قتلتم آل عوف بن عامر!

فتى كان أحيا من فتاة حيية و أشجع من ليث بخفان خادر

أتته المنايا دون درع حصينة و اسمر خطي و جرداء ضامر

فنعم الفتي إن كان توبة فاجرا و فوق الفتى إن كان ليس بفاجر.

تزوجت ليلى مرتين، وكان زواجها الأول من الأذلع ومن أهم صفات زوجها الأول أنه كان غيوراً جداً، وبعض القصص تقول أنه طلقها لغيرته الشديدة من توبة، وتروي قصص أخرى أنه مات عنها. أما عن زوجها الثاني فهو سوار بن أوفي القشيري الملقب بابن الحيا. وكان سوار شاعراً مخضرماً من الصحابة ويقال أنها أنجبت العديد من الأولاد.

أما وفاتها، فيُروى أنها حين قدمت يوما من سفرها، ومرت قافلتها بجانب قبر توبة بعد مقتله، وأرادت زيارة قبر توبة و معها زوجها الذي كان حاول منعها، ولكنها قالت: "والله لا أبرح حتى أسلم على توبة" فلما رأى زوجها إصرارها تركها تفعل ما تشاء. فوقفت أمام القبر وقالت: "السلام عليك يا توبة"! ثم قالت لقومها ما عرفت له كذبة قط قبل هذا. فلما سألوها عن ذلك أجابت: "أليس هو القائل[46]:

ولو أن ليلى الأخيلية سلمت عليَّ ودوني جندل وصفائح

لسلمت تسليم البشاشة أو زقا إليها صدى من جانب القبر صائح

فما باله لم يسلم علي كما قال؟! و قد كانت إلى جانب القبر" بومة" طارت في وجه الجمل حين رأت الهودج، فاهتز الجمل وأصاب رأس ليلى فسقطت على رأسها فماتت لوقتها، فدُفنت هنالك علي مقربة/ قرب قبر توبة الذي كان أحب الناس إليها، و أقربهم إلى روحها!!. وكان ذلك سنة: 85هـ/705م[47]، بمنطقة تسمى: الريّ. و قيل أنها توفيت سنة 86 هـ.[48] و قيل توفت في سنة 704م.[49]

شاعريتها:

و للأخيلية آثار شعرية مبثوتة في كتب الأدب تدور حول أغراض مختلفة. و كان شعرها هو الشعر النسائي الخالص، المرهف العاطفة السلس الكلام، الذي يجمع رقة العاطفة و رقة اللفظ إلى جانب قوة السبك. و هي بعد الخنساء من كبريات شاعرات العرب. والناظر في شعرها وشعر الخنساء يرى أن شعر الخنساء يكاد يخلو من الخيال ومن الحكمة، و اقتصرت أشعارها على موضوع واحد بالإضافة إلى تكرار المطالع و الألفاظ. أما ليلي فقد أجادت في اختيار مطالع قصائدها، وجزالة ألفاظها وتعدد الأغراض الشعرية لديها من مديح وهجاء وفخر وغزل ورثاء. كما عرف عنها إيراد الحكم والأمثال باستمرار. ومن ذلك قولها[50]:

ولا تقولن لشيء سوف أفعله قد قدر الله ما كل امرئ لاق

وكانت ليلى مبرزة في مفاخرتها بقومها. وتقول في وصفها لمعارك دارت بين قبيلتها وبني مذحج وهمدان:[51]

نحن الأخايل لا يزال غلامنا حتى يدب على العصا، مشهوراً
تبكي الرماح إذا فقدن أكفنا جزعاً، وتعرفنا الرفاق بحوراً

وقد اشتهرت ليلى بالتأنق اللفظي وجزالة مفرداتها والتكرار المتقن ، بعيداً عن التكلف والتعقيد، مما يكسب أبياتها جرساً موسيقياً مستحباً، وكانت تكثر من استخدام الطباق، كما في قولها[52]:

فوارس أحلى نشأها عن عقيرة لعاقرها فيها عقيرة عاقر
والقصد بعقيرة عاقر إن توبة أعظم الناس جميعاً.

و أغلب القدماء أشادوا بأن ليلى الأخيلية شاعرة فاقت أغلب الفحول من الشعراء، وشهدوا لها بالفصاحة والإبداع. وبعضهم كان يقدمها على الخنساء عندما كان أشراف قريش مجتمعين في مجلس يتذاكرون الخنساء و الأخيلية ثم أجمعوا أن الأخيلية أفصحهما، وإن ليلى أكثر تصرفاً وأغزر بحراً وأقوى لفظاً ولكن الخنساء أغلب قصائدها الرثاء.

كما أن الكثير من الشعراء كانوا يعتبرون شعرها من أفضل ما أنتجته تلك المرحلة المهمة في التاريخ الأدبي، ومنهم الفرزدق الذي فضل ليلى على نفسه، وأبو نواس الذي حفظ العديد من قصائدها، وأبو تمام الذي ضرب بشعرها المثل، وأبو العلاء المعري الذي وصف شعرها بأنه حسن ظاهره.

قال أبو العباس المبرد في كتابه المشهور الكامل: و كانت الخنساء و ليلى بائنتين في أشعارهما متقدمتين لأكثر الفحول من الرجال، و رب امرأة تتقدم في صناعة، و قل ما يكون ذلك. و يميل الاصمعي إلي تقديم ليلي الأخيلية على الخنساء.[53]

كانت شاعرتنا مقربة من بلاط الخليفة معاوية بن أبي سفيان والحجاج، وكانت تنشدهما شعرا رائعا. كما كانت مشهورة بين الأمراء والخلفاء. فحظيت بمكانة لائقة واحترام كبير، وكانت تُسمِع الخلفاء شعرها سواء كان من الرثاء أو المديح، فنالت منهم الأعطيات والرغبات. ومن ذلك أن معاوية بن أبي سفيان، أعجب بإحدى قصائدها وأمر لها بجائزة عظيمة واستنشدها المزيد وكذلك الأمر بالنسبة للحجاج بن يوسف الثقفي عندما أنشدت ليلى قصيدتها، فقالت:[54]

أحجاج لا يفلل سلاحك إنما المنايا بكف الله حيث تراها
إذا هبط الحجاج أرضاً مريضة تتبع أقصى دائها فشفاها
شفاها من الداء العضال الذي بها غلام إذا هز القنا سقاها
سقاها دماء المارقين وعلها إذا جمحت يوماً وخيف أذاها
إذا سمع الحجاج صوت كتيبة أعد لها قبل النزول قراها

وبعد انتهائها قال الحجاج: لله ما أشعرها. وأمر لها بخمسمائة درهم، وخمسة أثواب وخمسة جِمال. وبعد مسيرها أقبل الحجاج على مجلسه، وقال:أتدرون من هذه؟ قالوا: لا والله ما رأينا امرأة أفصح وأبلغ ولا أحسن إنشاداً. قال: هذه ليلى صاحبة توبة.

العصر العباسى

علية بنت المهدي (160- 210هـ/777- 825 م)

علية بنت المهدي بن المنصور من بني العباس، أخت هارون الرشيد و زوجة وسى بن عيسى العباسي، أديبة شاعرة المشهورة بالعباسة و سيدة أو أميرة في القصر العباسي، ولدت في بغداد عام(160هـ/777م) وعاشت طفولتها في قصور الخلافة و نشأت نشأة تليق بها كأميرة، وفيها تذوقت ثمار الفنون والآداب المختلفة. وهي التي كانت تتمتع بموهبة فنية وأدبية لا مثيل لها، فبدأت مبكراً بقول الشعر وصياغة الألحان، التي كانت تأتيها غالباً عفو الخاطر، فتقوم بغناء تلك الألحان بصوت رائع يسحر الألباب، وقد اتخذت هذه الصنعة كهواية وبقيت كذلك الى آخر ايامها، و كان أخوها إبراهيم بن المهدي يأخذ الغناء عنها.[55]

للمغنيات في تاريخ الموسيقى العربي دور بارز في إثراء الحياة الموسيقية العربية. و في خلال العصر العباسي كان للمرأة دور هام في صياغة الغناء و كان استقدام الشعراء ظاهرة في بلاط الخلفاء. وقد كانت عُلية بنت المهدي واحدة من اشهر المغنيات في زمانها. ومن اوائل القصائد التي لحنتها عليّة بنت المهدي كانت أغنية هي من قالتها شعراً أيضا في غلام من خدم هارون الرشيد يدعى (طلّ) كانت تهواه وتراسله شعراً بشكل مستمر وهو:[56]

يارب أنى قد غرضت بهجرها فإليك اشكو ذاك يا رباه

مولاةَ سوء تستهين بعبدها نعم الغلام وبئست المولاة

و هي كانت من ربات الفضل والأدب والجمال ، فهي من أجمل النساء وأطرفهن وأكملهن فضلاً وعقلاً وصيانة، وكان في جبهتها اتساع يشين وجهها فاتخذت عصابة مكللة بالجوهر، لتستر جبينها، وهي أول من اتخذها.

وقد تنافست بنت المهدي والسيدة زبيدة زوجة هارون الرشيد حول تطوير الازياء النسائية، وتفوقت السيدة زبيدة على علية في أنها تجيد الشعر، وكثيرا ما كانت تبعث برسائلها الفياضة ابياتا شعرية الى زوجها الرشيد. وكانت علية من أظرف نساء عصرها، وكانت مجالسها من أبهى مجالس بغداد. وكان المهدي يقرب السيدة زبيدة زوجة ابنه الرشيد، فقد كانت من نساء بن هاشم.

قال الصولي: لا أعرف لخلفاء بني العباس بنتاً مثلها، كانت أكثر أيام طهرها مشغولة بالصلاة ودرس القرآن ولزوم المحراب، فإذا لم تصل اشتغلت بلهوها، أي الغناء ، وكان أخوها الرشيد يبالغ في إكرامها ويجلسها معه على سريره، وهي تأبى ذلك وتوفيه حقه.[57]

توفيت هذه الفنانة الاميرة في بغداد سنة (210هـ/825م) بعد أن تركت لتاريخ الغناء العربي ثروة فنية لاتضاهى والحاناً سكبتها حباً والفاً وإبداعاً، وقيل أن سبب وفاتها أن (المأمون) ضمها إليه وجعل يقبل رأسها، وكان وجهها مغطى فشرقت من ذلك وسعلت ثم أتتها الحمى على إثر ذلك فما لبثت أن ماتت بسبب ذلك والله اعلم.[58]

شاعريتها :

ما من دارس للأدب العربي في العصر العباسي، أو مطلع على الحياة الحضارية في هذا العصر، إلا وقد لفته ذكر علية بنت المهدي-أميرة القصر العباسي-تنظم الشعر، وتصوغه ألحاناً مغناة تعبيراً عن وجودها وممارسة لحياتها. فهذه المرأة التي عاشت حياتها شعراً وغناءً، تكاد تختزل، عبر أحداث حياتها، كثيراً من مظاهر نضج الحياة العباسية في أوج ازدهارها، وفي قمة رقيها الحضاري. ولها "ديوان شعر" وفي شعرها إبداع و متعة. ونسبوا لأبي نواس في العباسية قوله :[59]

ألا قل لأمين الله وابن السادة الساسة

إذا ما خالف سرك أن تفقدوه رأسه

فلا تقتله بالسيـــف وزوجـه بعباسة

وإنها كانت تشرب الخمر في بعض أحيان و لها شعر في الخمر. مثلا:[60]

خلوت بالراح أناجيها آخذ منها و أعطيها

نادمتها إذ لم أجد صاحبها أرضاه أن يسكرني فيها

و هي تكثر في شعرها الكناية. تكني عن أسماء الرجال الذين تتغزل بهم بأسماء النساء أو بكلمة ريب. وقد تتغزل بغلام لها اسمه طلّ بكلمة ظلّ:[61]

أيا سروة الفتيان طال تشوق فهل لي إلى ظلّ لديك سبيل

متي يلتقي من ليس يقضى خروجه و ليس لمن يهوي إليه وصول

ولادة بنت المستكفي

الأميرة الشاعرة الأندلسية

هي ولادة بنت الخليفه المستكفي بالله محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن الناصر لدين الله ثامن الخلافاء الأمويين في الأندلس. و كانت أمها أمة إسبانية اسمها سكري. و هي قد ورثت من أمها بشرتها البيضاء و شعرها الأصهب. وهذه الشاعرة الأندلسية من بيت الخلافة كانت تخالط الشعراء في زمانها وتساجلهم وتجادل العلماء.[62] و كانت دارها ناديا من أندية قرطبة يغشاه الأمراء و الوزراء و الأدباء و القادة.[63]

نشأت ولادة بين خبث ولهو ومجون وخلاعة وتهتك لأن أمها سكرى المورويه كانت كما ورد تاريخيا توصف بالمكر و بالخبث والشر. اشتهرت بعلاقتها بالوزيرين ابن زيدون (394-463هـ/1003-1071م) وابن عبدوس، وكانا يهويانها، وهي تود الأول وتكره الثاني. كان ابن زيدون يتقرب إليها إلى أن لان له قلبها وبادلته الحب و قد كتبت له تقول:[64]

ترقبإذا جن الظلام زيارتي فإني رأيت الليل اكتم السرّ

وبي منك مالو كان للبدر مابدا وبالليل ما أدجى وبالنجم لم يسّر

وقيل : إن ابن زيدون لم يزل يروم دنو ولادة والاقتراب منها ولعا وحبا بها، فيهدر دمه دونها، ويهدد لسوء أثره ملك قرطبة ووالیها، وعندما يئس من لقياها وحجب عنها، و لما هرب من سجنه كتب إليها يستديم عهدها، ويؤكد ودها، ويعتذر من فراقها بالخطب الذي خشيه. وهي القصيدة النونية-أشهر ما يحفظه الناس:[65]

أضْحى التنائي بديْلا منْ تدانيْنا وناب عنْ طيْب لقيانا تجافيْنا

ألا وقد حان صُبح البيْن صبّحنا حين فقام بنا للحين ناعينا

وبعد سقوط الخلافة الأموية في "الأندلس" فتحت ولادة أبواب قصرها للأدباء والشعراء والعظماء، وجعلت منه منتديًا أدبيًا، وصالونًا ثقافيًا، فتهافت على ندوتها الشعراء والوزراء مأخوذين ببيانها الساحر وعلمها الغزير. وقد عمرت عمرا طويلا ولكنها قضت تلك الحياة بين لهو ولعب، ولم تتزوج قط حتى ماتت بقرطبة في سنة 484هـ/1091م.[66] و قال المقري كانت وفاتها سنة 480 أو سنة 484هـ.[67]

شاعرتها:

وكانت ولادة بنت المستكفي من أروع الشعراء والأدباء في شعرها، حيث كانت لها مكانة مميزة في الشعر، و كانت مع كل ذلك مشهودة بالصيانة والعفاف، حيث كانت شاعرة أديبة شهيرة من أشهر شواعر الأندلس. و قد **كانت تحب الشعر** حتى أنها كتبت بالذهب على عاتقها الأيمن:[68]

أنا و الله أصلحُ للمعالي و أمشي مشيتي و أتيه تيهاً

وأمكن عاشقي من صحن خدي وأعطي قبلتي من يشتهيها.

وهي ابنة أحد الخلفاء الأمويين، وكانت شاعرة أديبة، جميلة الشكل، شريفة الأصل، عريقة الحسب، وقد وصفت بأنها "نادرة زمانها ظرفًا وحسنًا وأدبًا". وهي كانت من نساء أهل زمانها واحدة أقرانها حضور شاهد و حرارة أوابد، و حسن منظر و مخبر، و حلاوة مورد و مصدر حتى تعدها في المغرب كعلية بالمشرق إلا أن ولادة تزيد بمزية الحسن الفائق، وأما الأدب والشعر والنادر، وخفة الروح فلم تكن تقصر عنها. وكان لها براعة في الغناء. و كان مجلسها بقرطبة منتدى لأحرار المصر، و فناؤها ملعبا لجياد النظم و النثر. يعشو أهل الأدب إلى ضوء غرتها، و يتهالك أفراد الشعراء و الكتاب على حلاوة عشرتها إلى سهولة حجابها و كثرة منتابها. أثنى عليها كثير من معاصريها من الأدباء والشعراء، وأجمعوا على فصاحتها ونباهتها، وسرعة بديهتها، وموهبتها الشعرية الفائقة، فقال عنها "الصنبي": "إنها أديبة شاعرة جزلة القول، مطبوعة الشعر، تساجل الأدباء، وتفوق البرعاء".

وهي التي كانت في قولها حسن وجزالة الألفاظ، أنها كانت تبارز الشعراء، وتساجل الأدباء وتفوق البرعاء، كانت تخلط ذلك بعلو نصاب وكرم أنساب وطهارة أثواب على أنها وجدت للقول فيها السبيل بقلة مبالاتها ومجاهدتها.[69]

وكانت لولادة جارية سوداء بديعة المعنى فظهر لولادة أن ابن زيدون مال إليها فكتبت إليه:[70]

لو كنت تنصف في الهوى ما بيننا لم تهو جاريتي ولم تتخير

وتركت غصنا مثمر بجماله وجنحت للغصن الذي لم يثمر.

العصر التركى و الانحطاط

عائشة الباعونية (ت-922هـ/1516م)

هي الشيخة أم عبد الوهاب عائشة بنت يوسف بن أحمد بن ناصر الدين بن خليفة الباعونية الدمشقية الشافعية الصالحية الصوفية صاحبة الشرف والنسب، ولدت بالصالحية بدمشق في بيت عريق في العلم و الورع. و كان أبوها و عمها و ولدها وأخوها من نوابغ العلماء في الفقه و الحديث و التصوف و التاريخ و الأدب. و هي كانت أديبة، وفقيهة أجيزت في الإفتاء والتدريس، وحفظت القرآن الكريم و هي في الثامنة من العمر. وعاشت معظم حياتها في دمشق، ورحلت إلى مصر حيث قضت بها بضع سنين، و توفيت في القرن العاشر الهجري سنة 922 هـ/1516م في قرية باعون بشرق الأردن من دمشق.[71]

وهي حصلت الفقه والنحو والعروض عن جملة من مشايخ عصرها. و تلقت النسك و التصوف على يد جمال الدين إسماعيل الخوارزامي، والعلامة محي الدين يحي الأرموي.[72] ثم وردت بعد ذلك إلى مصر وتتلمذت عن العلامة أبى العباس القسطلانى شارخ البخارى.[73] ثم عكفت على التدريس و التأليف و درس على يد عائشة جملة من العلماء الأعلام ، وانتفع بعلمها خلق كثير من طلبة العلم .

كانت عائشة الباعونية امرأة فاضلة أديبة لبيبة عاقلة. وكان على وجهها لمحة جمَّلها الأدب وحلَّتها بلاغة العرب، فجعلتها بغية ومنية الراغبين في العلم والأدب، وكانت عالمة بالفقه والنحو والعروض.[74] و هى كانت تعد من الخطاطات المبدعات فقد كتبت بخطها مؤلفاتها، ومنها:

1. ديوان شعر بديع في المدائح النبوية كله لطائف.
2. كتاب الفتح المبين في مدح الأمين-وهو شرح لقصيدتها التى نظمتها في علم البديع على منوال ابن حجة.
3. المورد الأهني في المولد الأسنى-و هو مولد النبى صلى الله عليه وسلم اشتمل على رقائق النثر و النظم.
4. مولد جليل للنبي اشتل على فرائد النظم والنثر.
5. "البديعية" و "الملامح الشريفة في الآثار اللطيفة".

6. "فيض الفضل" وهو ديوان شعر في المدائح النبوية-المحفوظ في دار الكتب المصرية.

شاعريتها:

كانت عائشة الباعونية عالمة فاضلة و أديبة بارعة و شاعرة مجيدة. و هي بلغت في الشعر مبلغا عظيما حتى عد العارفون بالأدب عائشة بين المولدين(المحدثين) من الشعراء والأدباء تزيد عن الخنساء بين الجاهليين. و كان أكثر شعرها بديعيات تتكئ فيها على ابن الفارض من حيث المعنى و علي البوصيري من حيث اللفظ و المعنى معا.[75] ومن شعرها البديع في وصف دمشق قولها:[76]

نزة الطرف في دمشق ففيها كل ما تشتهي وما تختار.

هي في الأرض جنة، فتأمل كيف تجري من تحتها الأنهار.

و من شعرها في مدح الرسول صلي الله عليه و سلم:[77]

كم أعقبت راحة باللمس راحته و كم محا محنة ريق له بفم!

و ذكره كاد ـ لولا سنة سبقت- إذا تكرر يحيى بالي الرمم.

وفي الختام وهي واضح علينا بأن خدمات النساء في الشعر العربي من بدايتها حتي النهضة الحديثة كثيرة، و لكن التاريخ لم تحفظ أعمالهم بتمامه. و إذا بحثنا في ذلك وجدنا فيها كثيرا اشتهرت بأعمالهن في عصورهن و بلادهن. إن لم يذكر أعمالهن فقد الأدب قسم مهما من أعمال الأدبية. فعلينا أن نبحث كل ذلك من التاريخ ونهتم بالحفظ و تدوين في الكتب مع العدالة والثقة للذين يبحثون في القادم.

المصادر والمراجع:

[1] جرجي زيدان، تاريخ أداب اللغة العربية (القاهرة: دار الهلال، 1958)، ج1، ص59
[2] أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي (بيروت)، الطبعة 24، ص29-30
[3] أن عصور الأدب العربي تنقسم إلى خمسة أقسام، و هي: العصر الجاهلي (475-622م)، العصر الراشدي و الأموي (622-750م/1-132هـ) و يقاله أيضا العصر الاسلامي، و العصر العباسي (750-1258م/132-656هـ)، العصر التركي (1258-1798م/656-1213هـ) و يقاله أيضا عصر الانحطاط، عصر النهضة (1798-.....م/1213هـ....) و فيه أيضا العصر الحديث؛ حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ص 46
[4] الحركة العلمية النسائية تراث غابت شمسه Internet, www.ghrib.net/vb/showthread.php?p=93517,
[5] المصدر السابق
[6] إبراهيم عبد العزيز عثمان، "المعالم الاحصائية للشعر العربي في العصرين الجاهلى و الإسلامى"، مجلة أفق الثقافة، معهد التنمية الإدارية، الدوحة، 06 يونيو 2005
[7] المصدر السابق
[8] المصدر السابق
[9] جرجي زيدان، تاريخ أداب اللغة العربية،ج1، ص39-40؛ د. يحي شامي، موسوعة شعراء العرب (بيروت: دار الفكر العربي، 1999)، الطبعة الأولي، ج 1
[10] من شعر فاطمة الزهراء وهي ترثي والدها رسول الله(ص)
تذكرت لما فرَق الموت بيننا فـعزيت نفسـي بالنبي محـمـد
فقلت لها أن الممات سبيلنا ومن لم يمت في يومه مات في غد؛
إبراهيم عبد العزيز عثمان، "المعالم الاحصائية للشعر العربي في العصرين الجاهلى و الإسلامى"، مجلة أفق الثقافة، معهد التنمية الإدارية، الدوحة، 06 يونيو 2005
[11] جرجي زيدان، تاريخ أداب اللغة العربية، ج1، ص40؛ د. يحي شامي، موسوعة شعراء العرب، الطبعة الأولي، ج 1
[12] د. يحي شامي، موسوعة شعراء العرب، الطبعة الأولي، ج 2؛ الدكتور محمد صالح الشناطي، في الادب العربي القديم (حائل: دار الأندلس للنشر و للتوزيع، 1997)، ج2، ط2، ص37
[13] د. يحي شامي، موسوعة شعراء العرب، ج 2
[14] المصدر السابق
[15] جرجي زيدان، تاريخ أداب اللغة العربية، ج1، ص167
[16] الدكتور عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي (بيروت: دار العلم للملايين، 1984)، الطبعة الخامسة، ج1، ص 148
[17] الدكتور عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، ص 150؛ جرجي زيدان، تاريخ أداب اللغة العربية، ج1، ص167
[18] الدكتور عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، ص 149-150
[19] المصدر السابق، ص 149
[20] الدكتور حسن شاذلي فرهود و أخرون، الأدب للصف الأول الثانوي، وزارة المعارف، المملكة العربية السعودية
[21] الخنساء، ديوان ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، الطبعة الأولى (150صفحة)، ص5-6؛ السيد أحمد الهاشمي، جواهر الأدب، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، طبعة جديدة محققة

ومنقحة أشرفت على تحقيقه وتصحيحه لجنة من الجامعيين، الجزء الأول، ص127-128؛ المشرف العام الأستاذ نقولا ناهض، المراجعة العامة الأستاذ صالح علي الصالح، الناشر ترادكسيم، الموسوعة العالمية عربية مصورة بالألوان، المجلد السادس، شركة مساهمة سويسرية جنيف، حقوق الطبع كروبتوريالي فابري – ميلانوليفردوباري –هاشيت – باريس للطبعة العربية : حقوق الطبع محفوظة لترادیکسیم ش. م، جنيف،1988، ص974؛ الدكتور عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي (بيروت: دار العلم للملايين، 1984)، الطبعة الخامسة، ج1، ص317

[22] المصدر السابق، ص318

[23] الموسوعة، ص248

[24] حنا الفاخوری، تاريخ الأدب العربي (بيروت: للمطبعة البولسية)، ص190

[25] الدكتور عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، الطبعة الخامسة، ج1، ص317

[26] أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، الطبعة 24، ص149؛ محمد مهدي الإستانبولي، مصطفى أبو النصر شلبي، نساء حول الرسول r ، الناشر مكتب السوادي للتوزيع(جدة)، 1413هـ-1992م ، الطبعة الرابعة، ص256

[27] جورج غريب، الموسوعة في الأدب العربي(39) شاعرات العرب في الجاهلية، دار الثقافة بيروت لبنان، 1984، الطبعة الأولى، ص 28-29

[28] سورة آل عمران. آية (200)

[29] محمد مهدي الإستانبولي، نساء حول الرسول، ص258 ،.259

[30] محمد مهدي الإستانبولي، مصطفى أبو النصر شلبي، نساء حول الرسول r ، الناشر مكتب السوادي للتوزيع(جدة)، 1413هـ/1992م ، الطبعة الرابعة، ص257.

[31] أحمد الهاشمي،جواهر الأدب، مؤسسة المعارف، بيروت لبنان، الجزء الأول، ص128

[32] الدكتور عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، الطبعة الخامسة، ج 1، ص 516

[33] الخنساء، ديوان ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، الطبعة الأولى (150صفحة)، ص128/5

[34] جرجي زيدان، تاريخ أداب اللغة العربية (القاهرة: دار الهلال، 1958)، ج1، ص166

[35] ابن قتيبة، الشعر و الشعراء، تحقيق و شرح احمد محمد شاكر (القاهرة: دار الحديث، 1998)، الطبعة الثامنة، ج1، ص344

[36] ابن قتيبة، الشعر و الشعراء، تحقيق و شرح احمد محمد شاكر (القاهرة: دار الحديث، 1998)، الطبعة الثامنة، ج1، ص344

[37] الخنساء، ديوان ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، الطبعة الأولى (150صفحة)، ص5

[38] جرجي زيدان، تاريخ أداب اللغة العربية (القاهرة: دار الهلال، 1958)، ج1، ص 166-167

[39] http://www.anwary-islam.com/women/m-womens_hkansa.htm

[40] الدكتورعمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، الطبعة الخامسة، ج 1، ص 515

[41] المصدر السابق، ص 517

[42] حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي (للمطبعة البولسية)، ص 251؛ جرجي زيدان، تاريخ أداب اللغة العربية، ج1، ص345

[43] عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي (بيروت: دار العلم للملايين، 1984)، الطبعة الخامسة، ج 1، ص 515

ظرف الشعراء (6) : Internet, http://www.rezgar.com/debat/show.art.asp?aid=15094
[44] ليلى الأخيلية
الدكتور عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي (بيروت: دار العلم للملايين، 1992)، الطبعة السادسة، ج 1، [45]ص 517-8
[46] حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي (للمطبعة البولسية)، ص 251
[47] د. يحي شامي، موسوعة شعراء العرب (بيروت: دار الفكر العربي، 1999)، الطبعة الأولي، ج 1، ص 396
[48] الدكتورعمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، الطبعة الخامسة، ج 1، ص 516
[49] http://home.infionline.net/~ddisse/laila.html
[50] Internet, http://cmadp.com/layla.htm,
مريم عبد الله محمد، الشاعرة الرحالة ليلى الأخيلية من شواعر العصر الأموي
[51] الدكتور عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، الطبعة الخامسة، ج 1، ص 517
[52] Internet, http://cmadp.com/layla.htm,
مريم عبد الله محمد، الشاعرة الرحالة ليلى الأخيلية من شواعر العصر الأموي
[53] الدكتور عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، الطبعة الخامسة، ج 1، ص 516
[54] المصدر السابق، ص 517
[55] خير الدين الزركلي، الأعلام، الجزء الخامس، الصفحة 35؛ جريد الغد اليومية "سيدات في القصر العباسي..عُلّيّة بنت المهدي" 14/1/2005
[56] جريد الغد اليومية "سيدات في القصر العباسي..عُلّيّة بنت المهدي" 14/1/2005
[57] العباسة.. السيدة الغامضة Internet http://www.al3ez.net/vb/printthread.php?t=8553 , ,
[58] جريد الغد اليومية "سيدات في القصر العباسي..عُلّيّة بنت المهدي" 14/1/2005
[59] العباسة.. السيدة الغامضة Internet, http://www.al3ez.net/vb/printthread.php?t=8553,
الدكتور عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي (بيروت: دار العلم للملايين، 1984)، الطبعة الثامنة، ج4، [60]ص187
[61] المصدر السابق، ص187
[62] المصدر السابق، ص699
[63] أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، الطبعة 24، ص330
[64] الدكتور عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، ط8، ج4، ص701
[65] المصدر السابق، ص 594
[66] عمر رضا كحالة، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، بيروت، ج5، ص 290
[67] دكتور جودت الركابى، في الأدب الأندلسي (دمشق: دار المعارف، 1960)، ص 167
[68] أحمد بن المقري، نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: يوسف محمد(بيروت: دار الفكر، 1998)، الطبعة الأول، ص133؛ الدكتور عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي (بيروت: دار العلم للملايين، 1984)، ط4، ج3، ص700
[69] عمر رضا كحالة، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، بيروت، الجزاء الخامس، ص 287
[70] أحمد بن المقري، نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: يوسف محمد، ص1933
[71] الدكتور عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي (بيروت: دار العلم للملايين، 1984)، الطبعة الرابعة، الجزء الثالث، ص 927؛ زينب العاملي ، معجم أعلام النساء ، 485.

[72] المصدر السابق، ص 926
[73] أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، الطبعة 24، ص412
[74] زينب العاملي ، معجم أعلام النساء ، 485.
[75] الدكتور عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، الطبعة الرابعة، الجزء الثالث، ص 927
[76] المصدر السابق، ص 927
[77] المصدر السابق، ص 929
www.arabicdu.edu